Zakho Centre
for Kurdish Studies
مركز زاخو للدراسات الكردية

منهج العلامة السيرتي في التصوف من خلال منظومته

(زاد السالكين في التصوف ونصائح الدين)

مركز زاخو للدراسات الكُردية

الكتاب	منهج العلامة السيرتي في التصوف من خلال منظومته (زاد السالكين في التصوف ونصائح الدين)
المؤلف	محمد أمين دوسكي
الطبعة	الاولى/ ٢٠٢٤
التصميم	ديـار عبدالله رمـزيه خـليل
مراجعة التصميم و الغلاف	وارهيل عبدالباقى
ISBN	٩٧٨ -٩٩٢٢ -٦٦١ -٣٠ -٨
رقم الايداع	٢٤ / ٢٤٧٣ / - D

Zakho Centre
for Kurdish Studies
مركز زاخو للدراسات الكردية

© حقوق الطبع محفوظة
لمركز زاخو للدراسات الكردية

zcks@uoz.edu.krd +964 (0)751 536 1550
Iraq-Kurdistan Region, Zakho- Univesity of Zakho

Zakho Centre
for Kurdish Studies
مركز زاخو للدراسات الكردية

منهج العلامة السيرتي في التصوف من خلال منظومته

(زاد السالكين في التصوف ونصائح الدين)

محمد أمين دوسكي

المقدمة

طرأ على التصوف الإسلامي منذ نشوئه في القرن الثاني الهجري تغييرات بارزة ومتواصلة، حتى بلغ أوجه في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وأستمرّ في عطائاته إلى أن انمسخ إلى دروشة في العهد العثماني، على أيدي شيوخ الزوايا، الذين أنزلوه من عرشه وضيقوا عليه فضاءاته، فأصبح لا يتعدى الأوراد والأذكار التي يواظب عليها الدراويش في سلوكهم. إلا أنه رغم ذلك ظلّ منتشراً في أرجاء البلاد الإسلامية، وقد أولته سلاطين الدولة العثمانية إهتماماً ملحوظاً ضمن سياسة الحشد الجماهيري ضد أي طارئ يندد بأمن وسلامة الدولة الإسلامية واستقرارها، الأمر الذي جعله مصوناً بعض الشيء من طعنات المذاهب الإسلامية وأحكامها، بإعتباره يناقض الشريعة الإسلامية في الكثير من الأمور، إلى أن اجترأت عليه السلفية في الآونة الأخيرة واعتبرته منحرفاً عن الإسلام.

إلا أنها - أي الدولة العثمانية - أدارت له ظهر المجن في العقود الأخيرة من عمرها، أي قبل إضمحلالها، وذلك بسبب معارضة بعض شيوخ الطريق الطرق الصوفية للظلم المتفشي الذي كان تمارسه ضد رعاياها، ففي كردستان قامت بنفي وإعدام العديد من شيوخ الطرق الصوفية المتذمرين من الأوضاع السائدة، والطالبين لحقوق قومياتهم التي أضاعتها الظلم والإستبداد الطوراني، فقد نفت (الشيخ عبيد الله النهري)[1] من شمال كردستان إلى المدينة المنورة ليعيش معزولاً عن أتباعة ومريديه، حيث كان وفاته فيها سنة (١٨٨٨م)، وأعدمت الشيخ (عبد السلام البارزاني)[2] شيخ تكية (بارزان) سنة (١٩١٤) في الموصل، الذي طالب ببعض من حقوق شعبه المضطهد تاريخياً، وبعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى التي بدأت عام (١٩١٤) وأنتهت عام (١٩١٨)، أي في بداية إضمحلالها، في سنة (١٩٢٥) أعدمت (الشيخ سعيد بيران)[3]، شيخ الطريقة النقشبندية، إثر ثورة قادها ضد الظلم والإستبداد العثماني في شمال كردستان، و بعد إحتلال الدول الغربية للبلدان الإسلامية التي كانت تحت سيطرتها، تعرض شيوخ الطرق الصوفية الذين قادوا الثورات الشعبية ضد المحتلين للنفي والقتل، فقد أعدم (الشيخ عمر المختار)[4] شيخ الطريقة السنوسية،

من قبل المحتل الإيطالي في ليبيا، ، وذلك سنة (١٩٢٥م)، وتم نفي (الشيخ محمود الحفيد)[٥] إلى الهند بسبب مقاومته الإحتلال البريطاني في العراق ومطالبته لحقوق شعبه.

هذا كله كان ضرباً في صميم التصوف الإسلامي، لأن الخلف لم يكن بمستوى السلف من جوانب عدة، فقد خلف السلف من بعده خلف أضاع الكثير مما تركه السلف من موروثه الصوفي، حيث لم يجد حوله من الأتباع والمريدين سوى ثلة قليلة، وهنا وقعة الواقعة.

فمؤلف هذه المنظومة الشعرية الموسومة بـ(الكتاب زاد السالكين في التصوف ونصائح الدين) العلامة الملا خليل السيرتي (١١٦٤هـ/١٧٥١م - ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م) اعتبره - أي التصوف - أحد المذاهب التعبدية الرائجة في عصره، لذلك اهتم به ودرس منه الطريقة القادرية على الشيخ احمد الرشيدي القادري[٦]، والطريقة النقشبندية على الشيخ خالد الجزري النقشبندي[٧] وأنشأ منهما منهجاً خاصاً به قدمه في أرجوزة شعرية ليسهل على السالك فهمه وتطبيقه أثناء السلوك. واسم المنظومة مستوحى من كتاب (مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين) لابن قيم الجوزية الذي شرح فيه رسالة (منازل السائرين إلى الحق عزّ شأنه) لشيخ الإسلام الهروي، الكتابان في علم السلوك الصوفي، إلا أن الأول منظومة شعرية والثاني نثر إنشائي بحت.

وقد اشار العلامة السيرتي إلى تاريخ تأليفه لمنظومته الشعرية في نهايتها أي في الورقة رقم (٦٧)، حيث يقول:

شمس قد حوت ألفا
مع خُمسه فاستوفى
ذاكم عشراً أخرى
ما أعظمها قدرا[٨]

وفق حساب الجمل يكون تاريخ التأليف حسب ما ورد: (١٠٠٠) ألف مع خُمس الألف الذي هو (٢٠٠)، مع (١٠) أخر، لتكون المحصلة (١٢١٠)، وهي السنة الهجرية التي ألف فيها المنظومة الشعرية، والتي تتألف من (١٢٠٣) بيتاً من الشعر التعليمي في علم التصوف والإرشاد الديني، موزعة على (٦٨) ورقة من المخطوطة التي نسخها الشيخ خالد الرشنوي[٩] سنة (١٢٣١) هجرية، أي بعد (٢١) عاماً من تاريخ تأليفها.

من الجدير أن مؤلف الأرجوزة العلامة السبرتي لم يكن من المتصوفة الذين لهم زوايا إرشاد خاصة بهم وأتباع ومريدين، إلا إنه لما درس التصوف وتعمَّق فيه أراد أن يكون له باعاً فيه كما له باع في العلوم الشرعية الأُخر، فألف الأرجوزة وبيّن فيها معالم السلوك وسلط الأضواء على تفاصيله، حيث أوضح للسالك طبيعة العلاقة بينه وبين شيخه (المسلّك) وتحدث عن أهميتها، ثم تطرّق إلى وظيفة العقل والقلب والنفس والروح وطرق إصلاحها، وبيّن الأحوال والمقامات على أتم وجه، إضافةً إلى ما يقوم به السالك من عبادات ومجاهدات بدنية ورياضات روحية تمكنه من بلوغ حضرة الحق تعالى.

والغريب في الأمر أنه قد جمع بين الطرقتين القادرية والنقشبندية على غرار ما قام به الشيخ شمس الدين الأخلاطي القطب[١٠] الذي جمع بين الخلوة والجلوة ووفق بينهما في طريقة لا زالت لها أتباعها ومريديها في قرية (بريفكان) التابعة لمحافظة دهوك في أقليم كردستان.

ومن الناحية الأدبية، فإن هذة المنظومة لا تقل أهمية من المنظومات التي سبقتها في مواضيع أخر، من قبل شعراء كرد مثل (مم وزين) لأحمد الخاني، و(يوسف وزليخا) لسليم الهيزاني، و(ليلى ومجنون) لحارث البدليسي، فهي أرجوزة شعرية سهلة الألفاظ جيدة السبك ومعبّرة.